

وداعاً يا «إسرائيل»

تأليف: أفرايم ستيغلا
ترجمة: الطيب الركاحي
وإهداء: لعمري

المحررة العراقية - دار النشر

اشترينته من شارع المتنبي ببغداد
فسي 13 / شعبان / 1445 هـ
الموافق 23 / 02 / 2024 م

سرمد حاتم شكر السامرائي

م. سرمد حاتم شكر

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والفنون

دار الرشيد للنشر

سلسلة الكتب المترجمة
(٧٢)

١٩٧٩

وَدَاعَا يَا إِسْرَائِيلَ

«مقتطفات»

تأليف : افرايم سيقيل

ترجمة : الطيب الرايحي و نضال المرسومي

مقدمة

تظل ضرورة الوقوف على حقائق مادية حول طبيعة الكيان الاستعماري العنصري القائم في فلسطين المحتلة مسألة أساسية في فهم ماهية هذا الكيان، وفي تقييم أهدافه المرحلية والاستراتيجية ، وأخيراً في تعبئة القوى الذاتية والموضوعية للجماهير من أجل الحاق الهزيمة به وتحرير الأرض والإنسان. ولقد وقف الشعب العربي الفلسطيني وكافة شعوب العالم تقريباً بقواها ومنظماتها الثورية والتقدمية على حقائق مادية حول طبيعة الكيان الصهيوني والدور الذي يتولى تنفيذه في المنطقة وفي العالم . وكانت هذه الحقائق أكثر أهمية وأبلغ تأثيراً كلما ارتبطت بالساحة الداخلية لذلك الكيان اذ تجسّم نسبة تآكل هذا الأخير ، وتؤشر بدقة عوامل اسقاطه والقضاء عليه..

ولعل نسبة من هذه الحقائق المادية المعلنة في السنوات الأخيرة قد فرضت نفسها اعلامياً وأمتلكت قوة تأثيرها على نطاق واسع وبأشكال مختلفة . وينسحب هذا الحكم على الوثائق المهمة التي قدمتها على هذا الصعيد شخصيات يهودية تقدمية أمثال : « اسرائيل شاهد » « عنصرية دولة اسرائيل » و « فيليسيا لا نغر » (بأم عيني ، وأولئك اخواني) ، و « مكسيم رودنسون » (اسرائيل والعرب) ، و « نانان ونيستوك » (الصهيونية واسرائيل) ، والبروفسور «ظلمون» ، والصحفي «شبتاني طيفت» ، والعسكري السابق «ناداف كارميل ركاتس» .

ويعتبر كتاب « وداعاً يا إسرائيل ! » سجلاً آخر يضاف الى عشرات السجلات التي أدانت الكيان الصهيوني بصوت مرتفع وبكلمات واضحة . وقد حرص مؤلفه ، وهو الكاتب والسينمائي اليهودي « أفرايم سيثلا » ، في ٣٤٣ صفحة من الحجم الكبير ، على فضح الكيان الصهيوني وتأكيد هشاشته وأندثاره في نهاية الامر ... وتعزى الموضوعية التي تسم هذه الوثيقة الجديدة الى معاشة المؤلف ، وهو يهودي سوفياتي ، لكل الحقائق المادية التي أوردها بالاضافة الى تفاعله معها ثم قرار الادانة الذي أصدره بناءً على المعطيات الحاصلة لديه .

واننا ، اذ نقدم مقتطفات من هذا الكتاب ، انما نأخذ بعين الاعتبار المرحلة الراهنة التي تمر بها الثورة الفلسطينية ، اذ تعلي من جديد الحقيقة الثابتة : اعرف عدوك .

- المترجمان -

الفصل الاول

تمرد البكم

(٠٠٠) بدأت هجرة اليهود الضخمة من الاتحاد السوفياتي بعد أحداث ٢٤ شباط(*) . وتدفق على فلسطين المحتلة الآلاف من اليهود . ويوجد في الوقت الحاضر أكثر من مائة ألف مهاجر سوفياتي ، من بينهم عشرون شخصا ممن أشتروا في الاضراب المذكور والذين تركوا البلاد حال حصولهم على موافقة « الكرملين » .

لقد مضت أربعة أعوام على كوني مواطناً في ما يسمى بدولة اسرائيل . التقيت مؤخراً برجل كنت قد عرفته في روسيا عندما كان يشغل منصبا مهما في صناعة السينما ، والذي كان يعتبر واحدا من أحسن منتجي الافلام . وفي فلسطين المحتلة لا يوجد من هو في حاجة اليه .

قال لي هذا الرجل كلمات مخيفة :

(*) في هذا التاريخ اعلن أربعة وعشرون يهوديا سوفياتيا الاضراب عن الطعام اثناء اعتصامهم في قاعة الاستقبال التابعة لمجلس السوفيات الاعلى الكائن في الساحة الحمراء في موسكو ، وطالبوا بحق الهجرة الى فلسطين المحتلة وقد حصلوا على هذا الحق بعد بضعة ايام من ذلك التاريخ . والمتحدث هنا هو مؤلف الكتاب الذي كان من بين هؤلاء اليهود .

«لو كان الامر بيدي ، لكنت نصبت لكم أربعاً وعشرين مشنقة
وشنقتكم عليها جميعكم دون استثناء ، وذلك لما جلبتم من شقاء لآلاف
البشر الذين حذوا حذوكم في الثغرة التي فتحتوها باضرابكم اللعين
كنت أنا واحداً من هؤلاء الذين تبعوكم » •

وقد حاولت التخلص عن طريق المزاح فقلت ان عشرين مشنقة تكفي ،
حيث ما يزال هناك في الاتحاد السوفياتي أربعة من الذين أضربوا •

- حسناً ، كما تشاء ، أجب بلا مبالة • ولكن والحق يقال لماذا
أشنقكم ، فأنتم معاقبون بما فيه الكفاية اذ أنكم في ما يسمى بدولة
اسرائيل • ص ٥٧ - ص ٥٨

الفصل الثاني

كيف أصبحت يهوديًا؟

في هذا الفصل يتناول المؤلف ، من خلال تجربته الخاصة ، أسباب تولد « الشعور القومي » لدى اليهود السوفيات .

- المترجمان -

الفصل الثالث

دروس في الديمقراطية

ان كلمة « الديمقراطية » مستغلة في ما يسمى بدولة اسرائيل استغلالاً مخجلاً ، وهي تخفي تحتها فوزى جوهرية هي أساس هذا المجتمع الذي ما يزال مضطرباً ومتذبذباً . فالسكان ، وكما يلعب الاطفال بلب الكبريت ، لا يكفون - تحت ستار الديمقراطية - عن التخبط الاعمى في تصرفاتهم ، ولا يفهمون منها الا ما يخصهم ما داموا يطلقون العنان لأحط غرائزهم . ان الحرية المدركة على هذا النحو هي ليست طبعاً الحق المقدس لكل مواطن في أن يكون محمياً ضد هؤلاء الذين يحاولون البصق على وجهه ، بل بالعكس انها الحرية المطلقة لهذا الذي يعتدي على حرمتكم . وهذا النوع من الديمقراطية ينتج عدم الاحترام البربرى للانسان ، ويترك المجال - نظراً الى ضعفه - لانتصار الاوغاد ، لانتصار القوي على الضعيف . هذه الديمقراطية تحتقر وتمتهن الحياة الانسانية .

عندما يتجشم أحد العناء في عملية تفحص الارقام الرسمية عن كذب، يلاحظ أنها تعكس كالمرآة الجانب المضحك لهذه الديمقراطية .

قفي سنة ١٩٧١ مات ما يقرب من (٣٠٠) شخص وجرح ثمانون من مجموع ثلاثة ملايين نسمة ، وذلك بسبب حوادث الطرق . أما السواق المستهترون ، والذين لهم أفكارهم الضيقة عن الديمقراطية فيما يبدو ،

فانهم يدهسون في السنة الواحدة عدداً من الاطفال بإمكانهم أن يملأوا مدرسة بكاملها . وفي كانون الثاني من سنة ١٩٧٤ سجل البوليس (١٢٠٤) حوادث و (١٨٦٥) ضحية . أرقام شهرية مفزعة « لدولة » بهذا الصغر .

الجنرال « حاييم هيرزوك » مسؤول الذخيرة والذي كان على رأس الاستخبارات الاسرائيلية والمسؤول حالياً بصفته صحفياً عن القضايا العسكرية في راديو وتلفزيون ما يسمى بدولة اسرائيل ، اكتشف مؤخراً اكتشافاً خارقاً للعادة من خلال دراسة الاحصائيات المقدمة من قبل الجيش . اذ أتضح بتحليل معطيات احدى السنين التي تعتبر أكثر هدوءاً ، أي التي تمتاز عملياً بقلّة المواجهات المسلحة على الحدود ، أن خمسة جنود فقط من مجموع (٢٥٠) جندياً كانوا قد لقوا مصرعهم من جراء اطلاق النار المضاد أو الالغام . أما بقية الضباط والجنود فانهم لم يموتوا على ارض المعركة وانما عن طريق حوادث السيارات وحوادث المناورات العسكرية . ويعتبر عدد حوادث العمل في مصانع يبدو أنها مجهزة بأخر صيحات العلم والتكنولوجيا مثيراً للقلق هو الآخر . ففي سنة ١٩٧١ وحدها توفي مائة شخص على اثر اصابات حدثت بسبب أنعدام مراعاة القواعد الاولى للتأمين ضد حوادث العمل ونجا (٨٠) ألف آخرون ولكن بجروح وتشويهات . وتعكس هذه الارقام لامبالاة اجرامية ازاء قيمة حياة الانسان . ياله من مستوى تافه للحضارة ! ان هذه الفوضى الجامحة التي تختفي تحت قناع الديمقراطية قد كلفت ما يسمى بدولة اسرائيل خسائر أكبر من تلك التي تكبدتها في الحروب التي خاضتها منذ ربع قرن من الزمن . ص ٨٣ - ص ٨٤

من الواضح أن المظاهرة والاضراب لا يسكن أن يشبها بعمل من أعمال العنف من حيث أنهما شكل قانوني من أشكال الدفاع عن المصالح في مجتمع ديمقراطي متحضر . ولكن حينما تضرب ممرضات يعملن في غرفة العمليات وترجأ بسبب ذلك عمليات جراحية ، حينما تغلق أبواب العيادات والمستشفيات،

حينما تتعفن منتجات معدة للتصدير وتتكد الدولة خسائر فادحة وأخيراً حينما تكف الطائرات عن الاقلاع ، عند ذاك تكون هذه الاعمال أقرب الى العنف ان لم تكن شكلاً من اشكال الابتزاز . ص ٨٨

(٠٠٠) انهم (أي الاسرائيليون) يتباهون بنظامهم متعدد الاحزاب ، بالانتخابات الحرة ، بغياب دكتاتورية البوليس الذي يؤدي بالنتيجة الى انعدام الخوف لدى المواطنين من الذين يتربعون على عرش السلطة .

ان هذه ديمقراطية حققة ، أليس كذلك ؟ كان من الجائز أن نفرق ، نحن اليهود السوفيات ، في بحر من فرح ونحن نستقر في ما يسمى بدولة اسرائيل .

ولكن يا للأسف ، فقد حاولنا ولم ننجح . أود قبل أن أسجل ملاحظاتي وأنطباعاتي الشخصية عن هذه المسألة ، أن أورد هنا رأياً لأحد المواطنين المهاجرين مثلي من الاتحاد السوفياتي ، ولكنني لم أتعرف عليه شخصياً ، كنت قرأت له مقالات في « بلادنا » المجلة الوحيدة التي تصدر باللغة الروسية في فلسطين المحتلة ، وكان تحت عنوان « ثمن الديمقراطية عندنا ! » يقول الدكتور « ليشتنر » :

« ٠٠٠ من الواضح أن الديمقراطية هي فتح عظيم من فتوحات المجتمع واحد نعمة الكبيرة ، الا أننا كلما اقتربنا من الحياة العامة والسياسية كلما ألفينا أنفسنا أمام وقائع نعجز عن تفسيرها .

من بوسعه تفسير هدف وأتجاهات العديد من الاحزاب الموجودة في فلسطين المحتلة ؟ من بوسعه فهم شيء معين يتعلق بحالة الاحباط التي تفرزها هذه الاحزاب على صعيد الحياة السياسية في البلد ، حيث يختلط الموضوعي بالذاتي ، والفكر الجريء بفكر القرون الوسطى ؟ ثم لماذا نجد في ما يسمى بدولة اسرائيل ، وهي التي لا يتجاوز عدد سكانها الثلاثة ملايين ، حوالي ثلاثين حزباً سياسياً ؟ » . ص ٨٩ - ص ٩٠

ولقد حاولت أنا شخصياً ، مثل الدكتور « ليشتنر » (وهذا ما لا يمكنني إخفاؤه) أن أعقب مدلول الأشياء بخصوص هذه الادغال الكثيفة التي يمثلها نظام تعدد الأحزاب في إسرائيل ، وأن أفصح بالتالي هذه الديمقراطية الزائفة . أجل أريد أن أتحدث هنا عن زيف الديمقراطية . وقد كان لابد من أن يتوفر لدي وقت طويل كي أتبين ما وراء حالة الاحباط حيث تتجسد السلطة المطلقة لحزب وحيد ، أو بالأحرى لتجمع أحزاب « اشتراكية » متأخية . ومن البديهي جداً أنه كلما تعدد في البلاد أحزاب وتجمعات صغيرة لا تمثل شيئاً أو أحداً ، وجد مجال متسع للغوغاء السياسية اللامجدية ، ووجد أسياذ حقيقيون لهم هواية « تحقيق » الطغيان وحكم البلاد بالطرق القمعية والارهابية .

لا يمكنك ، في هذا البلد حيث يسود طغيان قاتل ، أن تحظى بترقية على عملك ، أو أن تحصل على عمل هام ما لم تكن منتبياً لذلك التحالف أو لم تبد تعاطفك معه ، بل لا يمكنك أن تحلم بالحصول على قرض ذي قيمة ، أو على ترخيص يمكنك من فتح مشروع معين ما لم تكن تربطك علاقات وطيدة بسن هم في الحكم .

نعم لقد خدعنا جميعاً . وكل العالم يدري بما يجري في ما يسمى بدولة إسرائيل . لذلك فأنا لا أتعجب حين أعلم بأن هناك في الاتحاد السوفيتي أناساً يرفضون المطالبة بحقوقهم في الهجرة الى فلسطين . ولا أتعجب أيضاً حين أرى تدفق هؤلاء الذين يغادرون فلسطين المحتلة يزداد يوماً بعد يوم ، وقد صُنعوا بخيبة آمالهم وأحلامهم . ص ١٠٢

الفصل الرابع

ميلاد وسقوط الأساطير

(...) لقد كنت أنا شخصياً شاهداً على ميلاد عدد من الاساطير .
فلساذا أتكتّم عنها ، خصوصاً وقد ساهمت بدوري في ترويجها بجدية .
ها أنا أورد فيما يلي أولى هذه الاساطير :

لا وجود في ما يسمى بدولة اسرائيل لاناس غير مكترئين . كل فرد هنا
مستعد للقيام بأي عمل من أجل « نسو البلاد ومناعتها ! » .
تأملوا هذه الحقيقة الملعنة . من منا جميعاً لا يود العيش في مثل هذه
البلاد مع مثل هؤلاء الناس ؟ ص ١٠٤

قد يقال لي : « لانك تخيلت بلداً لا وجود له فانك الان مذهول اذ
ألفيته لا يتوافق وأحلامك . انك أنت المجرم وليست دولة اسرائيل !! »
ان الوجه الحقيقي لما يسمى بدولة اسرائيل الذي اكتشفناه ، والاسطورة
القائلة بعدم وجود أناس غير مكترئين هناك يمثلان الصورة المختلفة التي
حصلت لدينا عنها . سوف لن أثير في هذا السياق تجربتي المريرة ، انما
سوف أورد بكامل الموضوعية شهادات أناس آخرين أصابتهم الخيبة ، وكما
سردوها لي دون حذف أو زيادة . ص ١٠٦

يقول المليونير « سيما دوييني » ، صاحب قاعة لعرض اللوحات في تل ابيب وذو صيت تعدى حدود فلسطين المحتلة : « كيف يمكن لالاخلاق الحميدة أن توجد في بلد على الاساتذة ورجال القضاء فيه أن يرموا عهداً مقدساً مع الدوائر المكلفة برقابة الاداءات ، ويقسوا على وقائع مختلفة أملاً في خصم جزء ضئيل جداً من رواتبهم يمثل قيمة الاداءات المتعلقة بدمتهم » .

ويتساءل طبيب الاطفال في « مينسيك » سابقا الدكتور « سقيلانا سليوتينا » : كيف يمكننا أن نتكلم عن الاخلاق في هذا البلد ؟

يقول الدكتور سليوتينا الذي عمل سنة كاملة في برّ السبع قبل هروبه من فلسطين المحتلة الى المانيا : « كنت اسمع اشاعات واشاعات تطوف بين اليهود ، أو ييشها برنامج صوت اسرائيل » تقول ان الطب قد بلغ شأواً عالياً في اسرائيل ، وان نسبة عدد الاطباء الى عدد السكان في ما يسمى بدولة اسرائيل هي أعلى نسبة في العالم . . . يا لها من دعاية وقحة !!

لقد اشتغلت عاما كاملاً في جنوب البلاد ، تنقلت خلاله عبر أرجاء « النقب » . وهناك شاهدت تجمعات سكنية زراعية ضائعة في الرمال حيث يعيش اليهود السود من أصل أفريقي أو آسيوي . يا لها من قذارة ، ويا له من اهمال للوقاية الصحية !! بينما كنت أجري فحصاً طبياً على الاطفال الذين يقطنون تلك الاكواخ المتداعية ، أكتشفت بينهم عددا كبيرا من الاصابات بالالتهاب في الغشاء المفصلي . كما أن القيح يجري من آذانهم دون توقف ، ولا أحد يعير اهتماماً ولو على نحو ضئيل . ومن هؤلاء الاطفال من لم يلتق بطبيب منذ ولادته . فحركت ناقوس الخطر مطالباً باتخاذ اجراءات عاجلة لتدارك الوضع . ونهت الى الحقيقة التالية : وهي أنه اذا كان هناك مئات من

العَجَزَ والمرضى في هذه الاماكن المنسية ، فذلك عائد الى الاهمال الذي تتعمده في ميدان الصحة . وقبول سخطي بتهكم وضحك بارد من قبل زملائي الاطباء . ثم قرأت في عيون هؤلاء أشنع وصفة يمكن أن يقدمها طبيب الى مريضه ، وأعني بها وصفة اللامبالاة المطلقة ازاء مصير مرضاه ومصيره أيضا . « ليديا ليودكوفيتش » من وارشو ، مهندسة في ميدان المواصلات ، تعيش في فلسطين المحتلة منذ خمس سنوات حيث تشتغل بالقدس في مكتب الدراسات التابع لوزارة المواصلات ، تقول : « ... تلقيت تعليمي وكبرت في الاتحاد السوفياتي ، ثم اشتغلت لعدة سنوات في بولندا . ولذلك فانه بإمكانني أن أعقد مقارنه بين نسط العمل في هذين البلدين من ناحية وفي ما يسمى بدولة اسرائيل من ناحية أخرى . ويعتبر ما لاحظته في هذه الاخيرة من كسل ضمن المسائل التي تكاد لا تصدق » .

خمسون شخصاً يقومون بأعمال مكتبية أو بالاحرى محسوبون على العمل ، أي أن جميعهم يستلمون رواتب قادة ، ويأتون في ساعة العمل المحددة . ولكن في الواقع هناك منهم خمسة أشخاص فقط يعملون . ماذا يفعل الآخرون اذن ؟ انهم لا يؤدون أي عمل يذكر ، ويحدث ذلك بمعرفة الجميع ودون أي حرج قد يعانون منه . انهم يأتون صباحاً : يوقعون لاثبات حضورهم ثم يختفون ، ولا يعودون الا قبل خمس دقائق من انتهاء دوامهم كي يوقعوا ثانية ثم يخرجون دون شعور بالندم ، وكأن شيئاً لم يكن . ولا أحد يتوجه اليهم بالنقد ، ولا أحد يسخط . لقد اعتاد الجميع هنا مثل هذا الوضع ، بل يجدونه طبيعياً جداً . انها في نظري بطلاة مقنعة » .

ان مثل هذه الامثلة وغيرها تعريّ دعاية ما يسمى بدولة اسرائيل الكاذبة ، وتكشف نوع العلاقات التي تسود أفراد هذا المجتمع : وهي علاقات تذهب

العقل • ان النظارات الوردية التي يضعها المهاجرون الى فلسطين المحتلة تنكسر مع أولى خطواتهم على « أرض الميعاد » أمام أنعدام الشرف الصارخ ، أمام الكذب والمخادعة التي ترافق المهاجر الجديد حيثما أتجه •

في ما يسمى بدولة اسرائيل لا يفاجأ أحد ، باستثناء المهاجرين الجدد ، بالحادثة التالية على سبيل المثال : اذا كان لديك موعد عمل ، وتعمدت المجيء من القدس الى تل أبيب ، فينبغي عليك الا تفاجأ عند وصولك بعدم وجود أحد في أنتظارك في الموعد والمكان المحددين ، وبوجوب أنتظارك عبثاً طوال اليوم • تلك مسألة عادية جدا •

في ما يسمى بدولة اسرائيل يمكنك أن تكون عرضة للسرقة من قبل أمين الصندوق في أبسط محل أو في متجر كبير على حد سواء ، ان لم تنتبه جيداً الى الارقام التي يسجلها على الآلة الحاسبة • وفي حالة تفتنك الى سرقة واضحة ، فان أمين الصندوق لا يخجل ولا يسمح لنفسه حتى بالاعتذار لديك ، بل انه يلقي بنقودك بأحتقار شديد • ولا يسعدك حينئذ الا أن تعتبط اذ لم تتلق منه الشتائم • ص ١٠٩ - ص ١١٢

(٠٠٠) في ما يسمى بدولة اسرائيل يظهر أنعدام الشرف بسرعة على السطح ، مثل ذبابة غفنة فوق الماء البلوري الصافي ، ويثير حالاً ردود فعل مختلفة لدى المجموعة • في ما يسمى بدولة اسرائيل يمكنك أيضاً أن تكون عرضة للسرقة والنهب معاً • وهنا تسقط أسطورة أخرى : وهي أسطورة الشرف • ص ١١٣

تقول « قيذا أولشان » ، المغنية ، وقد تركت هي الاخرى ما يسمى بدولة اسرائيل الى الابد وتعيش الآن في برلين الغربية :

« ... عند وصولي الى فلسطين المحتلة وقعت عقداً مع «جيورا غوديك» مدير أحد المسارح . كان العقد جيداً ، من شأنه أن يمكن عائلتي من العيش . وأنعمست في العمل دون أن أعير أهتماماً الى صحتي . وكانت الحفلات تتوالى ، وكان الجمهور يلاقيني في كل مرة بأستقبال حار . وظننت أنني محظوظة فعلاً ، ولكن مدير المسرح أخفى فجأة .. لقد غادر ما يسمى بدولة اسرائيل وحمل معه أجري كاملاً . وظللت لا أملك فلساً واحداً . ولم أتلق سوى سخرية الوسط الفني والعائلة لقاء الثقة العمياء التي كنت قد أعطيتها لذلك الشخص . ص ١١٥

وتظل أسطورة قوة ما يسمى بدولة اسرائيل العسكرية التي لا تقهر أكبر الاساطير ، إذ كلف سقوطها الكثير وما يزال يهرق الدماء بغزارة . خلال محاولاتي غير المجدية غالباً والتي أبذلها في معرض رفضي للاساطير ، أصل أحياناً والمختلفين معي في الرأي الى طريق مسدود . وعندها يلقون في وجهي بالحجة الاخيرة ، بالاسطورة التي لا تتحطم :

— نعم ، ولكن جيشنا هو أفضل جيش في العالم . يمكنك أن تنتقد الحكومة بالقدر الذي تريد ، ولكن الجيش هو الكمال . ص ١٨٨

(...) ماذا يمكن أن يقال عن جيش خلقته « الدولة » ، وهو في منزلة الابن لأمه ! من المستحيل ألا يحمل الطفل أمراض وعيوب أمه التي أنجبته . ولا يمكن أن تكون في الامر معجزة . انه نفس الجسد الواحد بأوردته المتصلة فيما بينها . والتعفن الذي يصيب جزءاً ما من هذا الجسد لا بد من أن تظهر آثاره على الجزء الآخر . واليوم جميعنا على علم بأن الجيش « الاسرائيلي » يعاني من نفس الامراض التي يعاني منها ما يسمى بالمجتمع الاسرائيلي . ان

الادعاءات المتعلقة بالمزايا الفريدة لهذا الجيش ، وانتصاراته التي تكاد تكون
سحرية قد تحولت كلها الى فقاعات صابون دموية كان لابد لها أن تنفجر خلال
حرب الغفران (حرب تشرين) . ولقد سبق لي أن حاربت هذه الاسطورة ،
بالرغم من أنه لم يكن قد مضى وقت طويل على استقرارى في فلسطين المحتلة .
وكنت قد نبهت الى الحقيقة قبل أندلاع الحرب . لقد كانت الحقيقة صارخة ،
ولكن كان يجب أن تتوفر الشجاعة لكل من يريد الوقوف عليها بدل أن يدفن
رأسه في الرمل ، مثل النعامة . ص ١١٩

وهكذا سقطت أمام أعيننا آخر الاساطير : أسطورة الكفاءة العالية التي
يملكها الجيش « الاسرائيلي » والخبرة المتفوقة التي يتمتع بها قادته . ص ١٢١

الفصل الخامس

لَا يُصْلِحُ الْعَطَارُ مَا أَفْسَدَ الدَّهْرُ

« ان مصير أية بذرة انسانية ، مهما كان المستوى الذي تحمله من الايديولوجيا الصهيونية ، هو التدمير التام اذا كانت مزروعة في تربة مسمومة بفعل الكراهية التي يحملها اليهودي لاختيه اليهودي . » هذا ما كتبه المهاجر السوفياتي « يودين » في مجلة « المنبر » وهذا مواطنه القديم « ليونيد جلفون » يلاحظ بذهول ما يلي :

« في اسرائيل يتعايش اليهود على نحو سيء ، وهم مستعدون للقيام بكل الاعمال الخبيثة . فكلمة « يهودي » لا تستعمل دون اضافة شيء ما اليها . فيقال مثلا : هذا يهودي روماني ، وهذا يهودي مغربي ، وهذا يهودي روسي ، وهذا يهودي جورجي ... الخ وأحيانا يعمد الى حذف كلمة « يهودي » . فيقال : هذا سارق روماني ، وهذا سكّير روسي . أما ما يتعلق باليهود الاتراك فأنا لا أجرؤ على ذكره في المجلة . وأحيانا أسمع الصفة التالية : « وجه (السكير) الاسود ! » ان مثل هذا اللقب العنصري الشائن لا يطلق الا على اليهود الآسيويين والافريقيين .

تشاجر أبني ذات يوم مع طفل من أبناء الجيران . وحين التقتني أمه في المدرج بصقت في وجهي وصاحت : « انتظروا ، لسوف نقطع رقابكم عما قريب !! » .

وهكذا ترون مدى التوتر الذي يسود بين كافة المجموعات العرقية التي تؤلف سكان اسرائيل ، وهو ما دأبت على انكاره الاوساط الرسمية » .
ص ١٢٦ - ص ١٢٧ .

ان لهيب الكراهية العرقية يهز ما يسمى بدولة اسرائيل . فما كادت سورة الغضب تخدم في « مدغال كايميك » حتى أوشك الدم أن يتدفق في « أشدود » . أما السبب فهو التسريح المهين وغير المبرر لبضع عشرات من عمال الموانئ الجورجيين . وقد ترك هؤلاء الرجال مع زوجاتهم دون مؤونة ، وحينما طرقت أبواب مختلف المنظمات طلبا للمعونة وبدون أن يعرفوا لغة أهل البلد أو عاداتهم وتقاليدهم كان مصيرهم التجاهل والاستهزاء والطرده . وهكذا أعلن هؤلاء الجورجيون اضراباً أمام دار العمدة في « أشدود » ، وأنضمت اليهم النساء والاطفال . وأمام أعين الجميع وتحت الشمس المحرقة ظل هؤلاء الاشخاص المصممون أياماً عديدة دون طعام . هل حركت معاناتهم قلوب اليهود الآخرين ؟ بالعكس . فقد أخذ سكان المدينة ، اليهود أيضا ولكن من بلدان أخرى : من المغرب ، وبولونيا ، وهنغاريا ، والذين جاؤا الى فلسطين المحتلة قبل مواطنيهم الجورجيين بوقت طويل لاهداف مختلفة ، أخذوا يسخرون ويهزؤون بشكل سافر من معاناة هؤلاء ولم يترددوا في استعمال صفات جارحة ومشينة الى درجة لا يجرؤ معها حتى أي كاره لليهود على تلفظها . حينئذ حدث الانفجار . فما جبل عليه الجورجيون من طبع ساخن اضافة الى ادراكهم لحالة الحصار التي يعيشونها ، كل هذا قد رمى بهم وبكل اليهود الجورجيين القاطنين في فلسطين المحتلة دون استثناء في شوارع « أشدود » . فأقيمت الحواجز ، وحطم زجاج المخازن المتواجدة هناك . وخيم على المدينة جو لمجازر جديدة لليهود ، ولكنها هذه المرة بين يهود ويهود . أما سكان المدينة القدامى فقد طلبوا ، وهم في حالة من الرعب والهستيريا ، استقدام قوات مسلحة لتهدئة النار التي

أَجَّجَهَا هَؤُلَاءِ « القوقازيون القذرون » . وحتى الصحف اليهودية نفسها
أنضت الى الكورس وطالبت بدم اليهود الجورجين . ص ١٢٨-١٢٩

ولكن هناك تياراً آخر ربما أهم وأخطر يقسم ما يسمى بالمجتمع
الاسرائيلي الى معسكرين متعادين بصورة فعالة انطلاقاً من مبدأ عنصري :
وهو لون البشرة . فهناك اليهود البيض واليهود السود . والبيض هم
مهاجرو اوربا وأمريكا . والسود هم الآسيويون والافارقة . وحتى الدين
اليهودي الواحد عاجز عن مد جسر بين هذين المعسكرين حيث يشهد المرء
في اسرائيل ظاهرة تماثل في طبيعتها المذهلة ظاهرة وجود حاخامين أكبرين :
الحاخام الاشكيناзи والحاخام السفارديمي ، كما لو كان الشيء طبيعياً في
حين يثبت رسمياً الفصل العنصري لشعب أبتدع الوحدةانية في عبادة الرب ،
والذي يرسم اليوم حدوداً شائنة أمام اله واحد ، ويفرق بين مواطنيه واخوانه
في الدين حسب معايير أعداء اليهودية نفسها على مر القرون : المعايير
العنصرية .

يشكل المذهب « السفارديمي » (*) في الوقت الحاضر أكثر من نصف
سكان الكيان الصهيوني . وبما أن لهم أطفالاً أكثر من « الاشكينازين » (*)
فسوف يصبحون عما قريب أغلبية ساحقة . ويلاحظ ذلك بوضوح في الجيش
حيث تزوده العائلات السفارديمية العديدة بثلاث أرباع قوامه من الجنود .
أما الاشكينازية فستحصل في المستقبل القريب على وظائف قيادية وفي القوة
الجوية التي تتطلب عادة مستوى مرتفعاً من الثقافة .

وعدا مسألة لون البشرة ، هناك أيضاً العامل الاقتصادي الذي يفصل
جذرياً بين الجماعتين السفارديمية والاشكنازية ، ويحملها على التنافر .
فالأغلبية العظمى من ذوي الثروة والطبقة الوسطى كلها تقريباً من السكان

(*) نسبة الى « السفارديم » وهم اليهود الشرقيون ، والى
« الاشكينازين » وهم اليهود الغربيون

هم أشكينازيون • في حين أن السفارديم وحدهم هم الذين يعيشون في الضواحي الفقيرة مثل « هاتيكفا » ، تل أبيب أو القدس • وحسب الأرقام الرسمية فإن الـ (١٣٢) ألف عائلة التي تشق حياة بائسة غير جديرة بالوضع البشري هي بالدرجة الأولى عائلات سفارديسية •

ما هو السبب في هذه اللامساواة الاجتماعية الصارخة في بلد ما تزال ذكرى انشائه ، من قبل حفنة من المهاجرين الى أرض شبه صحراوية ، ماثلة في أذهان جيلنا الحاضر ؟ من هو المسؤول ؟

٥١٣٣٪ من المهاجرين الذين وصلوا اسرائيل ما بين ١٩٤٨ و ١٩٧٢ هم ذو أصل افريقي أو آسيوي ، وما تبقى منهم فقد أتى من أوروبا وأمريكا • وفي الوقت الحاضر يعيش ٢٠٪ من اليهود في اسرائيل ، في حين أن ٦٪ فقط كانوا يتواجدون هناك خلال السنوات الأولى لانشاء « الدولة » ٦٠٪ تقريباً من الذين وصلوا ما بين ١٩٤٨ و ١٩٧٢ كانوا قوة فعالة ، و ٣٠٪ أطفالاً تقل سنهم عن ١٤ عاماً ومن الجدير بالذكر أن ٥٧٪ من القوة الفعالة كان قوامها مهاجرون من آسيا وافريقيا ، بينما ألف مهاجرو أمريكا وأوروبا ٧٢٪ منها • وكان عمر المهاجرين لا يتعدى ٢٥ سنة •

(٠٠٠) بات السفارديم منذ خطواتهم الأولى على تراب « وطنهم التاريخي » (!) شحاذين بؤساء بالمقارنة مع اخوانهم من الدم والعقيدة الاشكناز الذين وجدوا الاوضاع مهيأة لهم منذ لحظة وصولهم •

كان السفارديم يقدون على فلسطين المحتلة من أصقاع شبه اقطاعية ، غير متطورة كانت سابقاً مستعمرات • ويحملون معهم كل السمات الطبيعية للتأخر المنزع الذي عليه بلدانهم الاصلية • لقد كان جميعهم تقريباً أميين • وكان معدل الولادات عندهم مرتفعاً • كما كان يعوزهم التكوين المهني • وكانوا معتادين على الجهد البدني والامراض المزمنة والتعسف ، مما كان يجر غياب المبادرة لديهم اضافة الى القدرة على توجيه حياتهم الجديدة •

لقد كانت هذه الموجة من المهاجرين اختباراً حقيقياً لما يسمى بدولة إسرائيل وللصهاينة « الاشتراكيين » في الحكم . ودل هذا الامتحان التاريخي على هزيمتهم الساحقة ، كما أوضح السمات الاولى والخطيرة لوهم أفكارهم الاجتماعية منها والسياسية . ووضعت عائلات السفارديم في بيوت مؤقتة سرعان ما أصبحت دائمية : في أكواخ حقيرة بنيت على عجل ، وتؤلف اليوم « العاباروت » ، وهي أحياء تنتشر منها روائح الفقر المدقع والوخم والمخدرات والجريمة والبغاء . انهم يسكنون غرفاً صغيرة لم تكن تسع في الماضي أكثر من شخصين . أما اليوم فيسكنها ثلاثة أضعاف ذلك العدد . (٢٥) ألف مراهق لا يدرسون ولا يعملون ، بل يتسكعون دون توقف في الأحياء الغنية التي يسكنها الاشكيناز حيث يؤلفون عصابات من الاشرار الصغار ، وقطاع طرق من « زغب الحواصل » .

(٣٠) ألف فتاة طالعة من نفس هذه الأحياء ، مطلبات بالمساحيق بشكل عشوائي ، غير جذابات كبغايا ، « يزوّقن » جدران المدن « الاسرائيلية » وإذا كتب لك أن القيت نظرة داخل السجون المكتظة والموروثة عن البريطانيين فانك ستلاحظ أن أغلبية اليهود الذين ينظرون الى العالم من خلف القضبان هم هؤلاء السفارديم . ص ١٣٣ - ١٣٣ .

أما العائلة من الاشكيناز ، وهي التي تتمتع بوضع مادي جيد ، فانها ترسل أبناءها (القليلين نسبياً) الى أحسن المدارس والجامعات دون التفكير في النفقات . بل انهم يرسلونهم الى الجانب الآخر من المحيط الاطلسي . أطباء ومحامون ومهندسون وبيداغوجيون : جميعهم ينتمون الى هذه العائلات . ويرث الاطفال المحلات الكبيرة والمعامل والوظائف الجاهزة ذات الرواتب والمكافآت الجيدة في الأجهزة التابعة للحكومة .

ويكبر الجيل الجديد من السفارديم في أوضاع مختلفة تماماً ويحصل على ارث من نوع آخر . فالاطفال الذين هم في سن الدراسة يتوقعون ذات

يوم عن الذهاب الى المدرسة مفضلين الشارع عليها . ولا يصل منهم الى الجامعة سوى عدد ضئيل جدا ، ومن ثم يفتحون لهم مجالا في الشرائح الفوقية للمجتمع والتي تستقبل على مضض هؤلاء « الملونين » .

ولنتذكر الان الفضائح التي رافقت انتخابات عام ١٩٧٣ . تعتبر وظائف رئيس الجمهورية في مايس بدولة اسرائيل شرفية بكل ماتعنيه الكلمة ، أي أن هذا الشخص لا يلعب سوى دور مزخرف ، وليس له أي تأثير على حياة « الدولة » . بل ان « نفوذه » (وليس لدينا غير هذه الكلمة) أقل حتى من « نفوذ » ملكة بريطانيا . وهكذا لم يترك لليهود الشرقيين حتى هذه الرئاسة الاصطلاحية الشكلية . فالاشكيناز وحدهم الذين حكموا بالامس يحكمون اليوم هناك متلاعبين دائما بالطرق الشرعية وغير الشرعية خلال الانتخابات بأصوات السفارديم المتصاعدة . ومع ذلك كان من المحتمل أن تترك السدة الشرفية لليهود الشرقيين ، على ذلك يخفف مشاعر النقمة لديهم . يومها قدم اليبين مرشحين اثنين : الابيض « أفرايم كاتزير » والاسود « اسحاق نافون » (*) .

وقف السفارديم ، وهم المخدوعون الى جانب مرشحهم ، وجسمو تأييدهم له من خلال مظاهرات عارمة . ولقد كان هناك من الاشكيناز أنفسهم من رأى في ذلك مظهرا من مظاهر العدالة ، الا أن التنافر القوي الذين يسوء المجموعتين اليهوديتين ، والعداء المتأصل الذي تكنه النخبة الحاكمة نحو « الملونين » قد جعل « الحكاء » من الاشتراكيين المزعومين في الحكومة يدقون اقواس الخطر . وهكذا تم انتخاب رئيس أبيض وهو « أفرايم كاتزير » على حساب السفارديم الذين كانوا قد تكبدوا خسارة كبيرة أصيبوا من ورائها بصدمة عيقة . ص ١٣٤ - ص ١٣٥

(*) واخيرا تم انتخاب اسحاق نافون رئيسا للكيان الصهيوني خلال النصف الاول من عام ١٩٧٨ - المترجمان -

هناك مسألة أخرى تكاد لا تصدق لولا أنها مؤكدة من طرف الاحصائيات الرسمية ، ونعني بها مسألة التزاوج . فحالات الزواج المختلط بين يهود المجموعتين نادرة جدا ، وهي لا تتجاوز بأي حال من الاحوال ١٢٪ ، بينما نجد في الولايات المتحدة مثلا أن نسبة حالات الزواج بين اليهود والمسيحيين تصل الى ٤٠٪ . ص ١٣٧ .

«...» ونختم هذا الفصل بتعزية الوجه الاكثر تمثيلا لعنصرية الصهاينة والذي يجسمه « الفلاحون » وهم يهود سود منحدرين من أثيوپيا ومتشبثون بعد بأرتداء الوزرة ، ويعيشون قبائل منطوية على نفسها . ولا يختلفون عن جيرانهم السود في شيء سوى أن تعلقهم بالديانة اليهودية تعلق أعمى يدفعهم ، مثل جميع يهود العالم ، الى انهاء صلواتهم بالدعاء التقليدي « العام المقبل في القدس ! » .

واليوم وقد تحققت أمنيتهم فقد وقعوا في أتون الكراهية العنصرية ، يصبون الزيت على النار بلون جلدهم وشخصيتهم الزنجية .

ويتركز هؤلاء « الاخوة السود » في جنوب فلسطين المحتلة ، في مدينة « ديمونا » باعتبارهم يهوداً مهاجرين . وهم يصرحون بأنهم يهود حقيقيون في حين أن بقية السكان مؤلفين من غير أحفاد ابراهيم ؛ ومن هذا المنطلق كانت لديهم الرغبة في اعادة بناء اسرائيل حسب ذوقهم . وينبهون أيضا الى أن اليهود السود الوافدين من أمريكا كانوا قد سمعوا صوتاً يخاطبهم من السماء ويعدهم بفلسطين ، الارض المروية لبناء وعسلا . ص ١٣٧-ص ١٣٨ .

ويرى جهاز الأمن أن « الاسرائيليين السود » يشكلون خطراً جسيماً على السلم ، وأنهم يشكلون بؤرة للتآمر . كما أن اتصالهم مع الصين الشعبية ومشوراتهم السياسية والدعم المالي الذي يتلقونه من الخارج ما فتئت تشكل عاملا من عوامل القلق لدى أجهزة الامن . ويشير « دان أثناري » الى أنه يمكن في الحالات الطارئة تعبئة من عشرين الى ثلاثين شرطياً وعدد كبير من المدنيين المذكور لمواجهة فريق مؤلف من (٢٥٠) عنصراً من

« الاسرائيليين السود » ، اذ لا أحد يعلم بما يدور في رؤوسهم ومتى سوف ينتقلون الى طور العمل • ص ١٤٠

هناك أيضا هوة عميقة ما تزال تقسم سكان فلسطين المحتلة هؤلاء الذين يؤلفون ما يسمى بدولة اسرائيل ، ونعني بها المواجهة الجارية بين الاقلية المتدينة والاغلبية الملحدة • فبالرغم من عددها المحدود تمتلك الاقليات الدينية نفوذاً قوياً يحدد بنسبة كبيرة الهبات المالية الواردة من الخارج • ولهذا السبب نجد قادة اسرائيل الاشتراكيين المزعمين الذين هم ملحدون بالاساس يفسحون لها المجال شيئاً فشيئاً ، ويجعلون بالتالي الوضع على امتداد البلاد أكثر قابلية للانفجار •

تظهر التنازلات التي تقدمها الحكومة للمتدينين والامتيازات التي تمنحها لهم في مدينة القدس على وجه الخصوص • ففي الحي القديم المسمى بحي « مياشاريم » تعيش طائفة دينية متعصبة تدعى « نيتوراي كارتا » (حراس الليل) ، يرفض هؤلاء علانية الاعتراف بالحكومة ويرفضون بالتالي الخضوع للقوانين المشرعة • هؤلاء اليهود الارتودكس لا يدفعون الضرائب ولا يؤدون الخدمة العسكرية ، ويأتون أعمالاً تدخل الاضطراب على أبسط القوانين المدنية • في حين تلتزم الحكومة الصمت والتعامي الكاملين • ص ١٤٢ - ١٤٣

كتب « ن • غوتين » في مجلة « المنبر » معلقاً على القصة المحزنة لفتاة « اسرائيلية » أحبت شاباً سويسرياً مسيحياً • ولكن رجال الدين المتعصبين أصروا على رفض الزواج بالرغم من أن الشاب قد أعلن عزمه على اعتناق الدين اليهودي في سبيل الاحراز على فتاة أحلامه : « يبدو أننا نعيش في بلد يمكن لقوانينه أن تحول الانسان المتحضر الى انسان مجنون • ذلك أن تركيب أجهزتنا ودوائرنا يمثل تحدياً لايسط شروط المنطق • وهذا يعني أننا نحن الذين خلقنا وتحمل كل شيء لسنا بشراً طبيعيين ومتحضرين » • ص ١٤٨

الفصل السادس

انشاء ما يسمى بدولة اسرائيل سبب تدهور وضع المجموعة اليهودية في الاتحاد السوفياتي

ان اليهود السوفيات الذين كانوا ينوون الهجرة الى فلسطين المحتلة لم يكونوا يعرفون حينئذ أنه لم يكن لهم هناك موطن قدم • ولم يكن دور الكيان الخبيث في هذه اللعبة الدولية غير الشريفة التي أحاطت باليهود الروس متوقعا حتى في أكثر الاحلام طيشا • ص ١٨٢

(•••) ورغم ذلك ففي قيينا ، حيث ما يزالون (أي اليهود) بعيدين عن الارض الموعودة ، كان أول اتصال لهم مع الموظفين « الاسرائيلين » بشابة ضربة عصا •

وهذه شهادة « ميشيل تاليسمان » المنشورة في الجريدة « الاسرائيلية » « المنبر » التي تصدر باللغة الروسية : « قيينا » ١٩٧١ • تصل طائرة تحمل مهاجرين من روسيا • يستقبلهم في المطار أحد الجلاوزة ويقذف في وجوههم بهذه الكلمات :

— ماذا أتيتم تفعلون هنا ؟ هل يوجد في اسرائيل ما يغري ويفتن !

ثم يختتم قائلا :

— لو كان لي مكان أذهب إليه ، لخرجت منها حالا . « وهكذا أظني ،
بسرعة وخشونة حماس الوافدين الجدد الملهب . وبدأ فيض الرسائل
المأساوية يتدفق من الكيان الاسرائيلي الى الاتحاد السوفيتي . كانت هذه
الرسائل تصف الحقيقة وتلتبس التوقف قبل فوات الاوان وعدم الهجرة بأي
حال من الاحوال .

وعندئذ مثل اخر مشهد من مأساة اليهود الروس . وأخذ هروبهم
من الاتحاد السوفياتي يتواصل ويتحول سلباً الى هروب . ولكن الى أين؟
هذا هو المجهول . في ما يسمى بدولة اسرائيل تقتل بقايا المشاعر القومية
لليهود الروس ، ويدفع بهم الى التمثل (*) . ص ١٨٤

(*) التمثل في علم النفس هو تكيف سلوك الفرد وفقا لحياة الجماعة
عن طريق اقتباس المواقف والعادات الشائعة .

الفصل السابع

« الاشتراكية » « الاسرائيلية » بين الواقع والادعاء

كان الاشتراكيون الديستراطيون في روسيا قبل انتصار الثورة منقسمين الى قسمين : (البلشفيك والمنشفيك) كانوا متخاصمين ثم تحولوا الى اعداء لانه لم تكن لديهم نفس الافكار حول طريقة بناء الاشتراكية بمعنى سعادة الانسان . وكانت الغلبة في النهاية للبلشفيك . أما القلول المتبقية من المنشفيك فقد هربت الى فلسطين . ص ١٨٨

و ذات ليلة دوى رصاص الاعداء على أحد شواطئ تل أبيب . ومن الغد كانت المجموعة اليهودية في فلسطين تتناقل النبأ : لقد أغتيل خايم أرلوزوروف ، أحد أبرز أعضاء الحزب الاشتراكي المزعوم . وبدون تجسم عناء كبير في البحث عن ظروف موته ، وجهت التهمة الى أعداء الحزب الاشتراكي المزعوم من الحزب الصهيوني التحريفي بزعمه جابوتنسكي . حدث هذا عشية الانتخابات في المجموعة اليهودية المسماة « ايشوف » التي كانت بدورها تحت الانتداب . وكانت الهزيمة في الانتخابات حليفة التحريفيين الذين يعرفون أنهم المسؤولون عن الجريمة ، في حين تمكن ما يسمى بأشتراكيي حزب بن غريون من فتح طريقهم الى السلطة منذ ذلك الوقت والى يومنا هذا .

ومنذ ذلك التاريخ جدت أحداث كثيرة . فقد ترك الانكليز فلسطين ،
وها هي «دولة اسرائيل» موجودة منذ ثلاثين عاما . وها أن الشوارع في
كل المدن تقريبا تحمل دون تحرج اسم أرلوزوروف . وما يزال التحريفيون
يدفعون عن أنفسهم مسؤولية اغتيال هذا الرجل ، ويدعون أن ذلك قد حدث
عرضاً عشية الانتخابات من أجل تمرير مساومة سياسية بكل ما صحبها من
أعمال منافية للشرف : مثل الشهادات الباطلة ، وأختفاء الذين كانوا يسعون
خلف الحقيقة ، ائتلاف واخفاء كل محاضر جلسات البوليس . ها أن حسين
سنة قد مرت على حدوث هذه الجريمة ، وما يزال الاشتراكيون المزعومون في
الحكم يعارضون بكل حزم اجراء أي تحقيق في هذه القضية . ص ١٩٠

ما هو اذن وجه الاشتراكية المزعومة في ما يسمى بدولة اسرائيل ؟
هذه اشتراكية من نوع خاص ! انها لا تشبه الاشتراكيات الاخرى ، بالرغم
من أن لها عدة نقاط التقاء معها . ففي فلسطين المحتلة ، يوجد هؤلاء على رأس
السلطة ، الا أن الاقتصاد يرتكز على نظامين : « اشتراكي » ورأسمال خاص !
ان هذا التكافل يقود أحيانا الى نتائج غير منتظرة ومشؤومة . ص ١٩١

(٠٠٠) ومن جهة أخرى ، تبرز بوضوح الجوانب السلبية للاشتراكية
الاسرائيلية المزعومة : سوء التصرف الذي يتلف كل شيء ، ويروقراطية
الحكومة التي تسحق كل مبادرة خلاقة ، وتفشي السرقة والفساد على مستوى
الحكومة ، اضافة الى الغباء السياسي واللامبالاة التي تميز غالبية السكان .

يشرح أحد أصدقائي ، وهو اقتصادي من موسكو وما يزال يشغل
نفس منصبه في اسرائيل ، وجه ما يسمى بالاشتراكية « الاسرائيلية » فيقول :
« انه مقسم الى جزئين : اذ وقع الاخذ بالجوانب السلبية « للاشتراكية »
وبالجوانب السلبية للرأسمالية أيضا . وهذا يعني أن الجوانب الاقل جاذبية
لكلا النظامين قد وقع الجمع بينهما . وهو ما يقدم الى العالم بأسم
« الاشتراكية » الاسرائيلية » .

ان النسطين الاقتصاديين : الخاص والوطني يتعايشان على صعيد نفس البرنامج الاقتصادي ، ويشكلان ، في نقطة التقائهما ، مكاناً ملائماً للسرقة والفساد دون التعرض للقصاص • ص ١٩١

(٠٠٠) ماذا يسكن أن يقال عن « خط بارليف » الدفاعي الذي أقيم على قناة السويس ؟ عشرات من المقاولين قد أغتتوا ، وأصبح كل واحد منهم مليونيراً ، في تشييد هذه القلعة المحصنة التي سقطت ذات يوم مثل برج من ورق اللعب خلال حرب تشرين •

ان بلداً أكبر حجماً مما يسمى بدولة اسرائيل ، كان مصيرد الافلاس التام ، لو تعرض الى ما تعرضت اليه هذه الاخيرة من سرقات متكررة وعلى نطاق واسع • أما الصحافة فانها لا تورد سوى فضائح جديدة مكتشفة من قبل البوليس ، وتضرب صفحاً عن الفضائح الاخرى •

واليكم مقتطفات من مقال منشور في مجلة « بلادنا » عدد كانون الثاني ١٩٧٤ ، تحت عنوان (البوليس يكتشف بضائع مسروقة في ميناء أشدود) :
« عشرون صندوقاً مقاوماً للصدأ ، آلة لتحويل المعادن ، حفارة مائية وصفائح من الفولاذ يقدر ثمنها بنحو (٦٠٠) ألف ليرة ، ليست سوى جزء ضئيل من البضائع المسروقة التي أكتشفها البوليس داخل مخازن غير مجازة في مدينة « النقب » •

لقد أختفت كل هذه البضائع خلال الاشهر الاخيرة في ميناء أشدود ، وألقي القبض على خمسة أشخاص متهمين بالسرقة ، ويشتبه في كونهم يسلون طرفاً في عصابة كبيرة أستطاعت أن تجر الى صفها اثنين من العاملين في الميناء • كما أستطاع البوليس أن يكتشف مخازن تحتوي على بضائع مسروقة في « بتاح تكفا » وفي أماكن عديدة أخرى من البلاد • البحث متواصل • وينتظر أن يلقي القبض على عناصر أخرى •

توجد السرقة والنهب في كل مكان من العالم ، وليس في الكيان الاسرائيلي فحسب ، ولكنني أرى أنه لا يوجد مكان في العالم يكون الجو فيه ملائماً للسرقة بمثل هذه الدرجة مثلما هي الحال في فلسطين المحتلة ، حيث تعطي خصائص الاشتراكية الاسرائيلية المزعومة ، وسوء التصرف ، وغياب الرقابة في ميدان التجارة الضوء الاخضر للمضاربين . كما أن الضمان الذي توفره مبالغ الصندوق اليهودي العالمي يسمح للحكومة « الاشتراكية » بعدم القلق ، وبالانشغال بشيء واحد : وهو التثبيت القوى بالمقاعد الوزارية التي تحتلها .

وتمثل النقابات التي يشرف عليها الحزب ، ومنها « الهيستدروت » ، أي الرابطة العامة لعمال «اسرائيل» ، واحدة من أدوات النفوذ التي تستخدمها السلطة . ان هذه النقابات فريدة من نوعها شأنها شأن ما يسمى بدولة اسرائيل ذاتها . فهي من جهة ترفع الراية الحمراء ، ومن جهة أخرى تستغل العمال استغلالاً فاحشاً . وهي لا تدافع عن مصالح هؤلاء (ودفاعها ديماغوجي) الا اذا تعلق الامر بمؤسسات تعود الى القطاع الخاص ، حيث تعتمد الى تحريض العمال على الاضراب . وبهذا تصني حساباتها في حقيقة الامر مع منافسيها في القطاع الخاص وتذهب بالحياة في اسرائيل مذهب الفوضى التامة .

وأود أن أورد هنا ما كتبه « راينوفيتش » في مجلة « الى البيت » عدد

آذار ١٩٧٣ :

« .. ان مردود المؤسسات التابعة « للهيستدروت » غير كافٍ ، كما ان الانتاجية منخفضة بالمقارنة مع انتاجية غيرها من المؤسسات التابعة للقطاع الخاص ، اضافة الى أن ظروف العمل فيها سيئة . ويعرقل جمود الجهاز البيروقراطي للمؤسسات النقابية التطور الاقتصادي للبلد ، ويقضي على روح المنافسة داخل هذه المؤسسات . بل انه يدفع بالحكومة نحو الالتجاء الى الاستثمارات الخاصة . واليوم تقف الهيستدروت حجر عثرة أمام تطور بادرة

القطاع الخاص ، كما أن المؤسسات اليهودية في الخارج غير مسموح لها باستثمار أوسع للرسميل في اسرائيل .

وهذا قائد الهيستدروت وسكرتيرها العام اسحاق بن آرون ، عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي يعترف نفسه في لهجة مازوشية :

— نحن نبدد أموال المؤسسة من أجل خلق طبقة غنية .. ان من هم على مقربة من الخزينة يزدادون ثراء . ولا أحد يمكنه الاثراء في هذا البلد دون ترخيص من الحكومة . ويمنح هذا الترخيص شخصان أو ثلاثة أشخاص .

«...» ماذا يسكننا أن نضيف الى هذا الاعتراف !

ان قادة اسرائيل مخادعون .. يستر الواحد منهم خطيئات الآخر ، ويتبادلون الحاق الخطأ فيما بينهم ، فيما تمضي الحياة في اتجاهات متعرجة على طريق الاشتراكية المزعومة .. وهكذا تتجاور في مدينة تل أبيب وحدها أحياء « الحاتيكاح » « الامل » القذرة وحي « ساريان » حيث تختفي البيوت ، الواحدة أجمل من الاخرى ، في غابات الصنوبر ، مثلما هي الحال في فلوريدا أو ميامي .

هناك (١٣٢) ألف عائلة (أي ما يعادل نصف مليون شخص) من أصل (٦١٤) ألف عائلة « اسرائيلية » تعيش على الشحادة أو في حدود ذلك . وفي (٦٩) ألف عائلة (أي ٣٠٠ ألف شخص) يعيش شخصان أو ثلاثة أشخاص في الغرفة الواحدة .

لنتوقف عند هذه الارقام . في ما يسمى بدولة اسرائيل هناك واحد على ثلاثة يهود يعيش على شحادة رسمية ومعترف بها . وتنتشر الاحياء مثل أحياء « كاتامون » على البلد بأسره روائح المخدرات والبغاء والجريمة . في حين يظهر على الطرق المحفوفة بأشجار النخيل في « الحرزلية » أبناء الاغنياء الجدد ممن يتبعون قطيع كبار الموظفين في حزب العمل مثل الخيول السمينة ذات الدم النقي .

لكيان اسرائيل المزعومة اذن هذان الوجهان .

ان معرفة دقيقة بواقع الحال في فلسطين المحتلة تقود دائماً نحو
اكتشافات جديدة ، تكون الواحدة منها أكثر غرابة من الاخرى . وهنا يفقد
تاج « الاشتراكية الاسرائيلية » المتمثل في الكيوتزات (أي التجمعات
الفلاحية) بريقه الدعائي ان نحن خدشنا قليلا واجهته . ص ١٩٥-ص ١٩٩
ان ما تسله هذه التجمعات لا يمت للاشتراكية بصلة . بل انها الرأسمالية
بلحمها وعظمها ، وبغفنها أيضا .

لقد باتت الكيوتزات ، واجهة ما يسمى بالاشتراكية « الاسرائيلية »
منذ وقت بعيد مكائن للصدقة وبؤرة للمستغلين . وتتمتع هذه المؤسسات
« الاشتراكية » ذات الشهرة الفائقة باعفاءات وتخفيضات لا بأس بها في
مجال الاداءات الجبائية . ان ما ينبغي تسجيله هنا هو أن الكيوتز الواحد
يستغل يداً عاملة « خارجية » ، وهو ما يعرف في النظام الرأسمالي بالقيمة
الزائدة .

ففي الكيوتزات ، يلاحظ أن كل عمليات البناء والمتعلقة منها خاصة
بالمسارح وأحواض السباحة الشهيرة تتم على أيد عاملة « خارجية » هي أيدي
العرب والدروز . ويحصل هؤلاء على أجور منخفضة جداً ، ولا يتمتعون
بأي ضمان اجتماعي يذكر .

وتقوم اليد العاملة « الخارجية » بالاعمال الموسمية أيضا ، وهي الاعمال
التي تتم في الحقول والمغارس ، ومنها خاصة جني المحاصيل .

وخلال الاعوام الاخيرة تفرغ عدد كبير من الكيوتزات التي ترغب في
الحصول على أرباح مهمة الى انشاء مؤسسات صناعية جاعلة بذلك الزراعة
في مرتبة ثانية ، وهي التي كان قد أقيم من أجلها نظام الكيوتزات أساساً .
ونجد في هذه المنشآت الصناعية والمربحة في نفس الوقت عدداً كبيراً من

العمال سكان المدن المجاورة • وحسب تحقيق نشرته مجلة « نحن » فإن ٦٠٪ من عمال الكيوتزات في مجالات التعدين والصناعات الخشبية والغذائية هم من « الخارج » •

وليس هذا كل ما في الامر • فان الاعمال الروتينية ، مثل الطبخ والغسيل الجماعي وغيرها ، متروكة هي الاخرى ليد عاملة خارجية • ويأخذ الاستغلال في هذا المجال أكثر الاشكال وضوحاً وغبابة •

لقد التقيت مرات عديدة داخل قاعات الاكل في الكيوتزات بنادلات وطباخت غير يهوديات • كن فتيات من ألمانيا ، وهولندا ، والسويد ، وفرنسا • تأتي السائحات الاجنبيات ، وتحت تأثير الدعاية حول طبيعة الحياة داخل الكيوتز بأعتباره « تجسيدا للعدالة الاشتراكية » بأعداد كبيرة الى فلسطين المحتلة مدعوات لقضاء عطلمهن ومستفيدات من رخص تذاكر السفر والرحلات التي تنظمها كافة شركات السفر في العالم تقريبا ••• وعند وصولهن يقمن في الكيوتزات ، فوق رؤوسهن سماء زرقاء وظلال النخيل • ويكون أكلين ومبيتهم مجانيين • ولكن •• من أجل الحصول على كل هذا ينبغي العمل والعمل المضاعف دون مقابل • ويكون العمل أحيانا في الحقول •

والفكرة في حد ذاتها لا تعكس غباء أصحابها • ونعني بها فكرة الحصول على يد عاملة مجانية لا تكلف غير الاكل والنام •• هكذا يقضي آلاف السواح ، من هذا الصنف بالذات ، اقامتهم في فلسطين المحتلة • وتصبح اقامتهم موردا لعائدات هامة تنقذ اقتصاد الكيوتزات •

أين هي العدالة التي طبقت شهرتها أنحاء عديدة من العالم ؟ وأين هي الاشتراكية ؟

وليس من باب الصدفة اذن أن نرى الشباب الذي ولد وترعرع داخل الكيبوتزات يهجرها ويسكن المدن تاركاً خلفه الشيوخ يقضون أيامهم الأخيرة في قاعات الاكل الجماعية أمام كوب من الشاي دُفِعَ ثمنه من الخزينة الامريكية .

ومنذ عهد قريب نشر الاقتصادي « روث زلبربرغ » الذي يعمل بوزارة المالية نتائج أبحاثه : اذ أكتشف أن عدد سكان التعاونيات الزراعية اليهودية قد أنخفض فجأة خلال الاعوام الأخيرة . فاذا كانت نسبة ٥٠٫٨٪ من سكان الكيان الصهيوني تقيم بالمدن فإن النسبة قد ازدادت كي تصل في أيامنا هذه الى ٩٠٪ . ص ٢٠٠ - ص ٢٠٢ .

فبأي مال تبني « اسرائيل » اشتراكيتها المزعومة اذن ؟ ومن أين تأتي الرساميل التي تغذي ميزانيات الحكومة وميزانية الحزب ؟

ان بإمكان أبسط طفل أن يجيبك بأنها تأتي من الخارج ، من الصندوق اليهودي العالمي على شكل هبات وقروض . ونفتح قوساً هنا لنقول ان الاشتراكيين الاسرائيليين المزعومين يعارضون بشدة رجال الاعمال اليهود الذين يرغبون في تركيز الرساميل داخل البلاد . ويفضل الاشتراكيون المزعمون أستلام المال بأية وحدة نقدية كانت ، ولكن فقط على شكل هبة . ص ٢١٠ .

وهناك مظهر آخر لما يسمى بالاشتراكية القومية يتجلى في استخدام اليد العاملة العربية المستوردة على نطاق واسع من الاراضي المحتلة .

ففي فجر كل يوم تنجّه من مدن نابلس ، وحبرون ، وبيت لحم ، وغزة مئات الشاحنات نحو الخط الاخضر (حدود عام ١٩٦٧) محملة بمواطنين عرب متراسين ، كتفاً بكتف ، وعلى رؤوسهم مناديل بيضاء يشدها عقال . انهم يعملون في كل ساحات التعمير تقريبا ، وفي عدة معامل وورشات ، وفي

مفارس الاشجار المشرة والخضر . كما نجدهم في عمليات تبليط الطرقات وأقتلاع الاشجار ورفع الازبال . وخلافا لما هو موجود في أوروبا فان ساحات التعبير أقل تقنية في «اسرائيل» ، ذلك ان السواعد العربية رخيصة هنا وتكاليفها أقل من تكاليف الآلات المستوردة . وزد على ذلك ما يمكن أن يكلفه البنزين والمحروقات الاخرى التي أرتفع سعرها .

ومما لاشك فيه أنه لولا هذه السواعد السمرء ، المعتادة على الشمس المحرقة وعلى الرياح العاتية ، لكان مصير اقتصاد البلاد الدمار التام منذ أمد غير قصير . وتعتبر اليد العاملة العربية المربحة الى حد بعيد عاملا من عوامل الربح بالنسبة لعدة مؤسسات . أما فيما يتعلق بظروف العمال العرب ، فإن مقالا بعنوان « اليوم في بئر السبع » منشورا في المجلة الحكومية « بلادنا » عدد ٢٤ شباط ١٩٧٤ يعطينا فكرة متكاملة عنها . كتب « ميشولام » في مقاله هذا ما يلي :

« .. يقدر عدد العمال العرب في مجال البناء ببئر السبع وحدها بثلاثة آلاف . ويعمل أغلبهم في مؤسسات تابعة للقطاع الخاص تحصل على أرباحها من خلال ضعف الاجور وحرمان العرب من حق الضمان الاجتماعي . » ويورد المقال بعد ذلك كلمات لمدير مؤسسة تستخدم وحدها (١٢٠٠) مواطناً عربياً كعمال . ويعترف المدير بأستلام أمر من الجهات العليا يقضي بتشغيل أكبر عدد ممكن من العرب تجنباً لكثير من المشاكل التي تحدث بالتأكد فيما لو كان المستخدمون من الاسرائيليين . ص٢١١-ص٢١٣

ولو نظرنا الى ظاهرة الشحاذة لوجدناها ضاربة في القدم . فهي لم تكن في يوم من الايام مهنة وحسب ، وانما فلسفة ، وخاطرة . والانكى من كل ذلك أنها باتت تشكل جزءاً من التقاليد اليهودية ، على الرغم من أن سحنة اليهود قد أذنت بالتلاشي أو تكاد .

وهكذا يكون كيان « اسرائيل » قد تعمد ائتلاف كل التراث اليهودي عدا الشحاذاة التي أقرتها بغاية السرعة . وأصبحت « اسرائيل الاشتراكية » بذلك الوريث الشرعي لتقاليد المحترفين في عالم الشحاذاة ، واليوم نجد الآلاف من الاسرائيليين فيها وعلى مستوى الجهاز الحكومي ، وعلى مستوى بعثاتها في كل أنحاء العالم يشحذون مثلما كان يفعل أجدادهم في الشوارع المغبرة داخل القرى . انهم لا يلبسون أسمالا بل بدلات أنيقة فاخرة . هم لا يشنون حفاة الاقدام بل يقودون سيارات فارهة . هم لا يطلبون مليمات معدودة من يهود آخرين وانما ملايين ومئات الملايين من الدولارات كافية لسد حاجة الدولة ذات الثلاثة ملايين نسمة . ان الشحاذين المعاصرين من اليهود لا يحملون جوازات سفر دبلوماسية ، فجوازاتهم هي أستمالة المشاعر القومية وحفر جراح الخوف من اللاسمية ، وحين لا يكون ذلك كافياً نجدهم يلتجئون الى شق طريقهم نحو حافظة النقود اما بالقيام بمساومة مخزية أو بمسك أولئك الذين لا تؤثر فيهم أساليب الدعاية من رقابهم .

ص ٢١٤ - ص ٢١٥

على غير ما هو متبع « في بقية بلدان العالم ، فان « الاسرائيليين » لا يحاولون الاقتصاد في نفقاتهم . انهم ينفقون دون حساب . . ان هذا النوع من التفكير قد قتل فيهم كل امكانية للإبداع . فالمهم أنهم ، أي الاسرائيليين ، يحصلون على المال دون تحمل مشقة ، وركوب الاخطار ، ودون ارهاق عقولهم الفارقة في محيط من الشحم .

لقد باتت « اسرائيل الاشتراكية » حشرة طفيلية تعيش متشبثة بظهر الصندوق اليهودي العالمي ، أو اذا التزمنا الدقة قلنا انها تعيش متشبثة بظهور العمال الوافدين من كل البلدان حيث يعيش يهود . ص ٢١٦

الفصل الثامن

النفوس الميتة

ان الذين ينسحبون ثم يغادرون فلسطين المحتلة هم أناس نشطون وأكفاء ممن يمتلكون شهرة وموهبة فنية ما . والجو العام في البلد لم يألف مثل هذا الصنف من الناس ، لذلك تراهم يفقدون ثقتهم بأنفسهم ثم يهربون دون عودة مضاعفين بذلك عدد « النفوس الميتة » التي تعج بها الاحصائيات « الاسرائيلية » . وتعود هذه النفوس الى الحياة ، بعد أن أفلتت من مخالب ما يسمى بدولة اسرائيل القاتلة : يعود أصحابها الى الحياة حاملين في جيوبهم جوازات سفر مختلفة ، ويفردون من جديد اجنحتهم التي فقدت عادة التحليق . ها أن أسماءهم تتردد اليوم بأحترام شديد على ألسنة الذين لم يحالفهم الحظ ، أولئك الذين يرون في كل من يغادر ما يسمى بدولة اسرائيل الى الابد مثالا حياً لمستقبل مشرق .-

ص ٢٢٧ - ص ٢٢٨

لقد فقدت الحكومة « الاسرائيلية » وما تزال تفقد ، مئات الآلاف من أصحاب الكفاءات الذين لا يمكن أن يستغني عنهم البلد . والذين لم يكن بوسعهم أن يفتحوا مواهبهم في ما يسمى بدولة اسرائيل فغادروها كي يظهروا ابداعاتهم في الخارج .

(...) اذا أردت أن تعيش هناك فيجب أن تكون اما مثالياً أو مجنوناً .
وليس العكس .

الجو هنا هو أسوأ الاجواء . وحتى يستطيع المرء احتمال هذا الجو
ينبغي أن يكون « مؤمناً » أو غيباً . فالادعاءات في فلسطين المحتلة لا تحتمل ،
اذ ينبغي أن تدفع كل ما يمكنك جمعه من مال .

كيف يمكن أن يكون كل هذا مقبولا ؟ اذن ، ينبغي أن يكون المرء
مثالياً أو غيباً مائة بالمائة !

فني ما يسمى بدونة اسرائيل يكون المرء أكثر عرضة منه في أي مكان
من العالم للانتحار : كأن يصوب مسدساً الى دماغه ويفرغ فيه رصاصة ،
أو كأن يسوت أي موت آخر غير الموت الطبيعي .

واليوم تعتبر السخرية من المثاليين الذين ما زالوا يحتفظون بشيء من
القداسة في قلوبهم من المسائل الشائعة هناك . أما المهاجرون من اليهود
السوفيات ، ومنهم خاصة أولئك الذين لم يمض وقت طويل على تواجدهم
في « أرض الميعاد » والذين ينوؤن تحت حمل ثقيل يتمثل في الافكار
المثالية حول الصهيونية ، فقد أستفاقوا مؤخراً كمن ألقى عليه ماء بارد .
وما برح صوتهم نشازاً في مجتمع الاستهلاك هذا ، حيث تتحكم النزعة
البرغماتية في أفرادها على نحو متصاعد . ص ٢٣١

بل ان الهروب يبدأ قبل الوصول الى الحدود الاسرائيلية ، وبالتحديد
في مدينة « فيينا » نقطة التوقف الوحيدة في رحلات المهاجرين من اليهود
السوفيات ، يصل هؤلاء بواسطة الطائرات والقطارات الى النمسا حيث
تكون في أنتظارهم طائرات البوينغ التابعة لشركة « العال » الاسرائيلية التي
تحمل أجنحتها نجمة داوود ، والتي ستقلهم الى البيت ، الى
« اسرائيل » .

وفي « ثيننا » يتناقل جميع اليهود • وتراهم لا يتهافتون على الصعود الى الطائرات ذات الابواب المشرعة ، ولكنهم يترصدون غفلة المسؤولين الاسرائيليين كي يلقوا بأنفسهم في أحضان ممثلي « هياس » (الصندوق اليهودي الموحد ، وهو عبارة عن منظمة يهودية عالمية) الذين يقودونهم الى روما ، حيث يستحصلون لكل واحد منهم تأشيرته تمكنه من الدخول الى أي بلد ، حتى لو كان نيوزيلاندا . ص ٢٤ - ص ٢٣٥

(٠٠٠) أما بالنسبة لمن يعتزم مغادرة فلسطين المحتلة فعليه أن يدفع مبلغاً مالياً معيناً إضافة الى سعر بطاقته وهو مبلغ يفوق بكثير امكانيات اليهودي المهاجر من الاتحاد السوفياتي • ويستقبل في مكاتب السفر ببرود تام ، وتبذل معه محاولات بغية اثناؤه عن المغادرة وتركه في هذا البلد مكتوف اليدين والرجلين رغم ارادته • وتجد الاوساط الحاكمة صعوبة في ترويض اليهود السوفيات • فهي لا تجرؤ على مطالبتهم بحب « اسرائيل » التي تظهر لهم كما هي وليست كما تصورها الدعاية الصهيونية • ويضطر هؤلاء الى بيع كل ما تبقى لهم حتى ملابسهم ، فيبحثون لدى الاقارب والاصدقاء عن يشتريها منهم • ثم من مطار اللد حيث كانوا قد وضعوا أولى خطواتهم على الارض المقدسة التي طالما تاقوا اليها ، يطيرون خفافاً وهم يلعنون هذه الارض وهذا البلد الذي خيب آمالهم وأصاب حياتهم في الصميم حين أودي آخر أمل لديهم • ص ٢٣٦ •

تعتمد السلطات « الاسرائيلية » الى اخفاء عدد الهاربين من البلاد ، وهو يقدر بالآلاف ويتزايد باستمرار • ولقد أقامت مؤخراً عراقيل جديدة في طريق من يعتزمون الهروب • وتحت تأثير ما يسمى بدولة اسرائيل ، عمدت الحكومة الايطالية الى تقليص عدد التأشيرات الممنوحة ، ويشمل هذا الاجراء أساساً اليهود السوفيات • ذلك أن هؤلاء على خلاف غيرهم لا يمتلكون جوازات سفر دائمة ، وانما اجازات مرور • ص ٢٣٧

ان الذين حالفهم الحظ وتسكنوا من الخروج يستعيدون أنفاسهم شيئاً شيئاً في روما مثلاً حيث ينزلون بملاجئ مؤقتة خاصة بالمهاجرين وهناك يستلهم الهلع كلما تذكروا « اسرائيل » ، فيدفعون عنهم هذه الذكريات كما لو كانت كوابيس حقيقية ، يتخلصون في نفس الوقت من آخر ما تبقى لهم من مشاعر قومية • انهم على استعداد لتغيير جلدتهم ، للتعرض الى عملية جراحية تجميلية تغير لهم وجوههم وتخفي من أجسادهم أبسط الدلائل على أصلهم اليهودي • ص ٢٤٢ - ص ٢٤٣

(٠٠٠) يطرح الاسرائيلي « أ • ليغن » هذا السؤال المر على صفحات مجلة « يارتز » :

« هل نحن نعيش حقاً في حلقة مفرغة ، أم ماذا ؟ ها أن البادرة تجهض ، والمستوى المعاشي ينخفض ، والناس ينقلبون الى لا مباليين أو تافهين ، والجريمة تهزم القانون ، وحشد فوضوي من الموظفين يتختم بما تدره عليه الاداءات المقطعة من جهد الشعب ، والبيروقراطية تشل حركة المجتمع » • ص ٢٤٨

الفصل التاسع

المُجرح الفاعر

(٠٠٠) انني - أنا الذي أعيش في ما يسمى بدولة اسرائيل ، والذي قامرت ليس بحياتي فقط ، وانما بحياة أطفالي أيضا - بعيد عن أن أرى المستقبل باسمًا • ص ٢٥٨

الفصل العاشر

اليهود السوفيات : عملة متداولة في صفقة خاسرة

(٠٠٠) قضت عائلة « ساليوتين » المنحدرة من مدينة « مينسك » سنة كاملة بيئر السبع الواقعة في جنوب فلسطين المحتلة ، في قلب صحراء « النقب » • الزوج والزوجة طيبان • لديهما طفلان • وقبل مغادرتهم للاتحاد السوفياتي باتجاه ما يسمى بدولة اسرائيل ، كان لابد للعائلة من أن تدفع ألف دولار عن كل فرد من أفرادها ، وباعت كل ما تمتلكه ، ولم تجلب معها الا الضروريات : ملابس ، وكتب ، خاصة المكتبة التي تمثل في الاتحاد السوفياتي جزءا لا يتجزأ من كل عائلة مثقفة •

بعد مضي سنة واحدة ، أتضح لديهم أن رحيلهم قد كان خطأ فادحاً .
أما طريق العودة الى « مينسك » فقد قطع عليهم . لذلك قرروا ، وهم
يعيشون حالة يأسٍ قاتلة ، أن يستقروا في ألمانيا بعد أن انتهى الى مسامعهم
خبر يتعلق بحاجة هذا البلد الى أطباء . لقد كانت لديهم شقتهم الخاصة في
الاتحاد السوفياتي ، ولديهم أمتعة حصلوا عليها طيلة سنوات قضوها في
الكدح . وهناك كان لديهم أقارب وأصدقاء يمكن الالتجاء اليهم دائماً
في الحالات الطارئة . أما في ما يسمى بدولة اسرائيل فانهم يعيشون في عزلة
قاتلة ولايتكون متاعاً . وقبل هروبهم منها كان عليهم أن يدفعوا فدية
لتاء استعادتهم لحريتهم .

« ان « سقتلانا » و « ايشيم ساليوتين » وطفليهما لا ينفردون بهذا
الوضع : فذلك نصيب المئات من العائلات اليهودية السوفياتية المهاجرة التي
توفر لديها قدر كبير من الارادة والحيوية مكنها من الهروب بعيداً ، ولكن
هذه المرة من الكيان الاسرائيلي ذاته ص ٢٧٤ - ص ٢٧٦

الفصل الحادي عشر

« حمرة المرض »

(...) حقاً ، ان اليهود لم يعرفوا أبداً ، خلال تاريخهم ، رخاءً كالذي عرفوه في أمريكا ، ولم يتسن لهم العيش في ظروف حسنة الا في أمريكا ، ولم يبد تأثيرهم ، في أي بلد ، قوياً الى هذه الدرجة ، كما أنهم لم يتوغلوا في عالم المناصب العليا ، في أي مكان اخر غير الولايات المتحدة الامريكية .

لست من المختصين بالشؤون الامريكية ، ولم أولد في هذا البلد ، ولم أقرأ مراجع الاستخبارات الامريكية الضخمة والبحوث المتعلقة بيهود أمريكا والتي تفيض بها المكتبات (...) ولكنني فنان يجيد المراقبة . فلقد طفت في أنحاء أمريكا راصداً بنهمٍ وحماسٍ حياة مواطني فيما وراء الاطلنطي ، وحاولت أن أفهم أفراحهم وأتراحهم ، وأن أتبين مصيرهم الطافي على سطح الحياة المضطربة ليهود القرن الحالي .

كانت تنتصب أمام عيني رفاهية وهمية فيما كان الخوف والقلق المنعكس في أعين اليهود حاضرين أبداً . هذا الخوف وهذا القلق هما اللذان يسمحان في كل دول العالم ، بالتعرف على اليهودي دون غيره .

ان الحمرة المتألقة التي تزين وجوه يهود أمريكا لم تخدعني • فهذه
الحمرة تظهر عادة مع الحمى ، أو عندما يكون المرء مصاباً بالسُّل • انها
حمرة المرض التي تخفي تحتها داءاً غادراً يصعب على الحواس ادراكه وهو
ينخر الجسد • ص ٣٠٧

الفصل الثاني عشر

دَقَّةُ حُزْنٍ

في يوم ٢٩ تشرين الثاني عام ١٩٤٧ تحقق أخيراً هذا الحلم الذي دام ألفي عام : اذ بأغلبية ٣٣ صوتاً مقابل ١٣ مع امتناع عشر دول عن التصويت، اتخذت منظمة الامم المتحدة القرار القاضي بانشاء دولة يهودية فوق جزء من الاراضي الفلسطينية . اني أشدد على كلمة « تاريخي » لانه ، مع أزمة البترول الحالية التي تهز أوروبا ، يتركز أتباه العالم أجمع ، شاد أم أبي ، على الشرق ، وربما سيكون مصير القدس تلك الشرارة التي ستشعل نار حرب عالمية ثالثة سوف تستخدم فيها أسلحة الدمار الجماعي ، ويصبح من الواضح الان أمام الانسان المذهل أن هذا القرار التاريخي ليس في الحقيقة الا شحنة من الديناميت المعلقة على بترول العالم النفطي .

ان هذا القرار المكدر ، الذي أستقبله يهود العالم أجمع بفرح عارم ، يوقع في الحقيقة حكم الاعدام غير القابل للاستئناف على الافراد هناك .

ولدت دولة ما يسمى بإسرائيل وسط معاناة فظيعة.. وقد أقصت النزعات السياسية التي كانت ما تزال متوهجة بعد الحرب العالمية الثانية المنتهية لتوها القضية الفلسطينية ، وجعلت منها موضوعاً تقليدياً للمساومة السرية . ولم يبحث العالم بأجمعه هذه المسألة بجدية ، لان القضية بالنسبة له لم تكن متعلقة الا بمصالح ثانوية . ص ٣١١

(٠٠٠) ولتبنى مشروع أقسام فلسطين ، كان من الضروري جدا الحصول على أغلبية ثلثي الاصوات ، وكان كل صوت يساوي وزنه ذهباً. وقبل أسبوع من التصويت في الامم المتحدة قابل « حايم وايزمن » الرئيس « ترومان » وعرف كيف يقنعه بأنه كان ينبغي أن تشكل « النقب » جزءاً من « الدولة اليهودية » . وهكذا تخلت الولايات المتحدة عن معارضتها لقرار التقسيم .

ثم أجرى الدكتور « وايزمن » اتصالاً هاتفياً مع « ليون بلوم » رئيس حكومة الاشتراكيين الفرنسيين آنذاك ، وحصل منه على وعد بعدم امتناع الوفد الفرنسي عن التصويت - وهو ما كان العالم ينتظر منه - ، بل التصويت لصالح التجزئة . ص ٣١٢

لقد مضى أكثر من ربع قرن من الزمان على تلك الايام التاريخية : ربع قرن من الصراع الدائم والدامي من أجل الحفاظ على ما قد تم انشاؤه بشكل اصطناعي في قاعة الاجتماعات التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة . وفي غضون تلك الفترة بثلي الشرق الاوسط بحرب قاسية ومستمرة تضطرم حيناً وتخف حدتها حيناً آخر ، هازة بقية العالم وواضعة اياه أحيانا على شفا الكارثة . ص ٣١٣

لم تصبح « اسرائيل » المصطنعة ، رغم تنبؤات القادة الصهاينة المغناطيس الذي يجذب اليه اليهود في كافة أنحاء العالم . وفي خلال ربع قرن من الزمان لم تستطع هذه سوى جمع شمل الخمس فقط ، على أرض فلسطين القديمة ، من العدد الاجمالي الذي يؤلفه اليهود الموالون لما يسمى بدولة اسرائيل والموجودون خارجها ٠٠٠ واليوم يوجد في نيويورك من اليهود أكثر مما يوجد في فلسطين المحتلة كلها ، وفي باريس أكثر مما في تل أبيب وفي لندن أكثر مما في القدس . ص ٣١٣ .

(...) ورغم كل التكهّنات فإن انشاء الكيان الصهيوني لم ينفث دماً
جديداً في الشرايين العتيقة ، بل بالعكس فقد حصد الافراد هناك وأعطى
سرعة مذهلة لعمليتي التدهور والانحلال . وأنهارت الجماعات اليهودية
الواحدة تلو الاخرى ، وتضاءلت أعدادها ، وفقدت اعضاءها ولكن ليس
على أساس الهجرة الى فلسطين المحتلة وانما في زيجاتٍ مختلطة ، وتحول
عن الديانة ، وهرب محموم عن كل ما هو يهودي الى أعماق « التمثل » :
المنقذ الوحيد . ص ٣١٤

الفصل الثالث عشر

زِيَارَةُ السَيِّدَةِ الْعَجُوزِ

ان ما يسمى بدولة اسرائيل مدانة . لذلك سوف لن يكتب لها البقاء
في أحسن الاحوال أكثر من عشر سنوات أخرى منذ هذا التاريخ . وسوف
تختفي الى الابد من على خارطة العالم عام ١٩٨٥ . ص ٣٤٢

(...٠٠٠) واني اذ تكلمت عن السيدة العجوز فأنا لم أكن أعني فقط
بطلة مسرحية « دورنمات » (كاتب مسرحي سويسري شهير) ، وانما كنت
أريد أن أذهب الى أبعد من ذلك .

لقد رمز الخيال الشعبي للموت منذ عهود سحيقة بامرأة عجوز عمياء
تحمل في يدها منجلا كبيرا . وهذه هي المرأة العجوز التي أتوقع وصولها
عند عتبة بيتي .

انها واققة : المنجل مرفوع في يدها ، وهي على أتم استعداد لطمس
مصير اولئك الافراد .

هي ذي واققة : الجمجمة خالية من العينين .. انها تراقب انتفاضة
الموت الاخيرة لهؤلاء « القوم » !

أعرف أنني سوف أتهم ، اثر قراءة هذا الكتاب ، بأرتكاب كل ذنوب
البشرية ، لعل أبسطها سيكون أتهامي بالتشاؤم . أجل أنا لا أخفي كوني

متشائما . هكذا خلقتني الحياة وكل ما وقعت عليه عيناى . فأنا لم ألتق
الا مرة واحدة ببتفائل من أصل يهودى ؛ كان ذلك فى مستشفى مجانيين
حيث دعانى عمداً صديق لى يعمل طبيباً نفسانياً كى أشاهد تلك المعجزة .
انا نلفظ نفسنا الاخير . وان أعترضنا على أندثارنا مثلما فعلت
الاجيال السابقة سوف لن يجدي شيئاً : لقد تغير الزمن وتغيرت وتيرة
الحياة .

ها أن القرن العشرين يشرف على نهايته . والقرن الآتى سوف لن
يلتقى ما يسمى بالشعب اليهودى .

الفصل الرابع عشر

اليهود في العالم

أمريكا

الولايات المتحدة الأمريكية = ٦ ملايين

كندا = ٢٨٠ ألف

الارجنتين = ٤٨٠ ألف

البرازيل = ١٦٠ ألف

الاورغواي = ٥٠ ألف

الايكواتور = ١/٢٠٠

بوليفيا = ١/٥٠٠

الجمايك = ٦٠٠

سلفادور = ٣٠٠

غيواتيسالا = ١/٣٠٠

هندوراس = ١٥٠

فينزويلا = ١١ ألف

المكسيك = ٣٠ ألف

پنسا = ١/٨٠٠
شيلي = ٣١ ألف
كولومبيا = ١٠ آلاف
كوستاريكا = ١/٥٠٠
كوبا = ١/٩٠٠
بورتوريكو = ألفان
باراغواي = ألف
كوراكاو = ٨٠٠

أفريقيا

الجزائر = ١/٥٠٠
مصر = حوالي ٣٠٠
أثيوبيا = بين ٢٥ و ٣٠ ألف (منهم ٣٠٠ يهودي أروبي فقط أما البقية فهم يهود فلاحون)
المغرب = ٣٥ ألف
تونس = حوالي ٩ آلاف
كيان جنوب أفريقيا = ١١٨ ألف
روديسيا = ٥/٢٠٠
كينيا = ٣٥٠
السودان = ألف
زمبيا = ٦٠٠

آسيا

ايران = ٦٥ ألف

العراق = حوالي ٣٠٠

اليمن = ٥٠٠

لبنان = ٢/٥٠٠

سوريا = حوالي ٤ آلاف

أفغانستان = ٥٠٠

الفلبين = ٢٥٠

هونغ كونغ = ٧٠٠

أندونيسيا = ١٠٠

سنغافورة = ٦٠٠

سيام = ٣٥٠

تاوان = ٧٠

استراليا

٨٠ ألف تقريباً

أوروبا

النمسا = ١١ ألف

بلجيكا = ٣٥ ألف

بلغاريا = ٦ آلاف

تشيكسلوفاكيا = بين ٨ و ١٠ آلاف (٤٥ ألف عام ١٩٤٨)

دنمارك = ٦ آلاف

فلندا = حوالي ١/٥٠٠

فرنسا = ٥٥٠ ألف
جبل طارق = ٦٥٠
اليونان = ٥٠٠ تقريباً
هولندا = ٢٢ ألف
اسبانيا = ٨ آلاف تقريباً
ايرلندا = حوالي ٥ آلاف
يوغسلافيا = ٦٥٠٠
امارة ليشتنشتاين = ٣٠ تقريباً
لوكسبورغ = ١/١٠٠
مالطا = ٤٠
امارة موناكو = ٦٠٠
ألمانيا الغربية = ٣٠ ألف
المانيا الديمقراطية = ٢/٤٠٠
النرويج = حوالي ٨٠٠
بولونيا = ٨ آلاف عام ١٩٧٢
البرتغال = حوالي ٦٥٠
رومانيا = حوالي ١٠٠ ألف
السويد = ١٣ ألف
سويسرا = حوالي ٢٠ ألف
تركيا = حوالي ٢٨ ألف
المجر = ٨٠ ألف
بريطانيا = ٤٥٠ ألف
ايطاليا = ٣٥ ألف
الاتحاد السوفياتي = مليونان وخمسمائة ألف

المحتويات

٥	مقدمة
٧	الفصل الاول تمرد البكم
٩	الفصل الثاني كيف أصبحت يهوديا
١١	الفصل الثالث دروب في الديمقراطية
١٥	الفصل الرابع ميلاد سقوط الاساطير
٢١	الفصل الخامس لا يصلح العطار ما افسد الدهر
٢٩	الفصل السادس انشاء ما يسمى بدولة اسرائيل سبب تدهور وضع المجموعة اليهودية في الاتحاد السوفيات
٣١	الفصل السابع « الاشتراكية » « الاسرائيلية » بين توقع الادعاء
٤١	الفصل الثامن النفوس الميتة
٤٥	الفصل التاسع الجرح الفاجر
٤٥	الفصل العاشر اليهود والسوفيات : حملة متداولة في صفقة خاسرة
٤٧	الفصل الحادي عشر حمرة المرض
٤٩	الفصل الثاني عشر دقة حزن
٥٢	الفصل الثالث عشر زيارة السيدة العجوز
٥٤	الفصل الرابع عشر اليهود في العالم
٥٩	

تصميم الغلاف : سلسبيل ناجي
الإشراف الفني : خضير عباس اللامي
الخطوط : خالد الخالدي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية - بغداد
١٠٤٧ لسنة ١٩٧٩

دار الحرية للطباعة - بغداد

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

الجمهورية العراقية
وزارة الثقافة والإعلام
دار النشر

السنة الأولى

تمت الطباعة والنشر في دار النشر

في شهر كانون الثاني سنة ١٩٦٠